الامبراطورية كثيراً في ايام الصحو ولكن اذا عصفت الزوابع وهطلت الامطار فهناك الظامة الكبرى . وبضدها تتبين الاشياء فنظام انكلترا على الضد من نظام المانيا تماماً فان كثيرين من ذوي السلطة فيها خارجون عن هيئة الحكومة ولذا فانها اكثر مقاومة واحتمالاً لخطوب الزمان من المانيا . فبينما نرى النصر لازماً لالمانيا والأ رزحت تحت اثقال المصائب نرى انكلترا تزيد قوة وصبراً اذا ازدادت متاعبها ومشاكلها

ثم افرد المؤلف فصلاً خصوصيًّا (وهو الفصل الاخير في الكتاب) لما يستنتج من « المقدمات والنتائج » التي ذكرها وهو انهُ يجب على الامة الانكليزية ان لا تكتفي باعداد الاسطول بل ان تنظم جيشاً بريًّا كافياً لمنازلة العدو لان طموح المانيا الى الاستعمار وتأليف امبراطورية عظيمة خارج اوربا سيضطرها يوماً الى حرب عظيمة . ولو استعد الانكليز في ذلك الوقت كما اشار عليهم مؤلف هذا الكتاب لما طالت مدة الحرب الحالية الى الآن

ب . ن

لماذا ينبغي على اميركا ان تنضم الى الحلفاء

بقلم المستر روزفلت رئيس اميركا السابق

قال الجنرال شرمن « الحرب جهنم » . وما حدث الآن في اوربا ولاسيما في بلجكا يؤيد هذا القول . ولا تبطل الحرب الأ اذا عُمِل بالاسلوب الذي اقترحتهُ وهو ان ترتبط الدول المتمدنة القادرة على الحرب وعلى السلم ارتباطاً مدارهُ حفظ السلم في الدنيا . اي تتعهد بحفظ ما لكل دولة منها من الحقوق التي لا ينازَع فيها وبان كل خلاف يقع بينها يُعرَض على محكمة تحكيم لتفصل فيهِ وبانها تحارب كل دولة تعتدي على غيرها او لا تخضع لحكم هذه المحكمة في المسائل التي يجوز التحكيم فيها

ومفاد ذلك ان تحالف الدول كلها على تأييد السلم العاري عن الحَيْف الذي يحفظ لكل شعب بلادهُ وشرفهُ ومصالحهُ الحيويَّة ويضمنها لهُ ويستثنيها من الدخول في حكم محكمة التحكيم . وهذا التحالف لا يضمن اموراً يستحيل ضمانها ولا بعد وعوداً يتعذر او لا يحل القيام بها . لانهُ لا يجوز لدولة ان ترتبط بعهد الأ اذا كانت واثقة انها قادرة على القيام بهِ

واخيراً وهو الاهم يجب ان يكون هذا التحالف مشمولاً بالقوة اي ينبغي ان يضمن تنفيذ ما يتعهد بهِ المتضامنون ولو استلزم ذلك استعمال القوة فتضمن الدول المتحدة حقوق كل دولة منها ودفع الاعتداء عنها وتنفيذ احكام محكمة التحكيم

وما اشرت بهِ ينفي التحكيم في المسائل الحيوية التي لا يجوز التحكيم فيها. فاذا اعتدى انسان على آخر واصابهُ باذًى في جسمهِ او مالهِ او راحتهِ قبض رجال الشرطة (البوليس) على المعتدي وسلموهُ للقضاء حتى يعاقبهُ عقاب المجرمين. ولا يُفصَل بينهُ وبين المعتدَى عليهِ بالتحكيم. واذا حضر المعتدى عليهِ مجلس القضاء فانما يحضر كشاهد فقط

واذا هجم رجل على آخر في احد شوارع المدينة وضربهُ او خطف ساعتهُ ولم يكن احد من رجال الشرطة (البوليس) حاضراً فعلى المعتدى عليهِ ان يقبض على الجاني ويوقع بهِ والاَّ فهو يفرِّط في حقوقهِ الشخصية واذا وجد رجل من رجال الشرطة فعليهِ ان يقبض على الجاني ويسلمهُ للقضاء والقاضي لا يقف حينئذٍ موقف الحكم في امر الاعتداء وملكية الساعة بل يردُّ الساعة الى صاحبها ويحكم على الخاطف او المعتدي بما يستحقهُ من العقاب

فشل مؤتمرات السلم

واذا استثنينا اتفاق مؤتمر الهاي فقد فشلت كل مؤتمرات السلم التي عُقدت حتى الآن. وكل ما تلى فيها من الخطب وكل ما اقرَّهُ اعضاؤها من القرارات ذهب سدًى او اضرَّ اكثر مما نفع لانها هي التي اغرت الدول المحبة للحرية حتى افرطت في الاطمئنان ولم تتخذ عدتها لوقاية نفسها. فضرر تلك المؤتمرات واضح من هذا القبيل كما يظهر من الحرب الحاضرة. اما اتفاق مؤتمر الهاي فقد افاد بعض الفائدة في انهُ سهَّل على الدول التي تكره الحرب فصل ما يقع بينها من الخصومات في بعض الامور فانهُ كثيراً ما يقع خلاف بين الدول في امور طفيفة كما اذا اعتدى احد من رعايا الدولة الواحدة على سفينة صيد لاحد رعايا الدولة الاخرى او اذا اختلفت الدولتان في تفسير بند ثانوي من بنود معاهدة بينهما او اذا عمل موظف من موظفي احداهما في ساعة طيش وحدَّة عملاً اضرَّ بآخر من رجال الدولة الاخرى ففي هذه الاحوال تكره الدولتان فصل هذا الخلاف بالحرب فتلجآن الى محكمة التحكيم في الهاي فتفصل بينهما

واقتصار محكمة الهاي على ما تقدم يسفِّه آراء الذين حسبوا انها تفعل المستحيلات. اما انا فلم يخطر ببالي قط انها تفعل ذلك ولكنني كنت اؤمل منها اكثر مما رأيت لانني وثقت بالوعود. ولكن الوعد شيء والقيام بهِ شيء آخر كما ثبت الآن في امر البلجيك فان الولايات المتحدة وقَّعت (امضت) اتفاق مؤتمر الهاي لما كنت رئيساً لها. وكل الدول المشتبكة الآن في هذه الحرب وقعتهُ ايضاً فاصبحت كل واحدة منهنَّ مقيدة بان تضمن لغيرها كل الحقوق التي يشملها ذلك الاتفاق لكن الضمان لا ينفع الاَّ اذا وُجد من يؤيد الاتفاق وينفذهُ بالقوة في وجه كل دولة تنقضهُ سواء كانت من الموقِّعات (الممضيات) لهُ او من غير الموقعات لان

امتناع دولة عن توقيعه لا يجعلها في حلٍّ من انتهاك حرمة غيرها والاَّ صار عدم توقيع المعاهدات مزية من اكبر المزايا

ولقد وافقت بما كان لي من السلطة على توقيع الولايات المتحدة لذلك الاتفاق وهو يحرّم انتهاك حرمة البلاد المحايدة وبالضرورة يحرّم الاستيلاء على الامم المحايدة التي لم تبادئ بالعدوان كما استولى الالمان على بلجكا. ويحرّم تخريب مثل لوفان وديننان ونحوهما من مدن بلجكا وحرق مكاتبها العمومية وما فيها من الكنائس والمعاهد ويحرّم تغريم السكان بغرامات مالية فادحة وايقاع العقاب الصارم بهم. ويحرّم اطلاق المدافع والقاء القنابل على المدن غير الحصينة وعلى المدن الحصينة قبلما تهاجم حصونها

كل هذه المحرّمات ارتكبتها المانيا. وانا لما أمرتُ بتوقيع ذلك الاتفاق أمرت وانا واثق ان الولايات المتحدة تقوم بعهدها وتدافع عن اسمها وان الشعب الاميركي يفهم ما معنى القيام بالعهد والدفاع عن الاسم في هذا الامر كما في غيره من الامور الخطيرة التي تقتضي ان يكون الانسان مستعدًّا ليبذل جهده في الدفاع عمَّا تعهَّد به ويتحمل ما يتعرَّض له من الخطر

ولو خطر ببالي ان توقيع اتفاق المهاي لا يعني سوى اظهار بعض الرغائب وان كل دولة تستطيع ان تنقض ذلك الاتفاق حسبما تقتضي مصالحها ولا خوف عليها ولا هي تحزن — لو خطر ببالي ذلك لما سمحت بان تشترك الولايات المتحدة في عمل قبيح مثل هذا

سياسة الجبن

يرى الرئيس ولسن والوزير بريان انهُ اذا تعهدت الولايات المتحدة بحفظ الممالك الصغيرة من اعتداء الممالك الكبيرة فتعهدها لا يوجب عليها ان تضمن تنفيذهُ. وعندهما انهُ اذا طُلب منا ان ننفذ بالفعل ما تعهدنا به بالقول صرنا في حلٍّ من تنفيذهِ وحقَّ لنا ان نحفظ بانفسنا ونقف وقفة الجبان الرعديد لنظر افجع الفظائع والموبقات تُرتكب في بلاد لم تبادئ احداً بالعدوان

هذه هي سياسة الجُبْن والخنوع وجريُ الرئيس ولسن والمستر بريان عليها ليس لهُ كبير شأن لو اقتصر الامر عليها ولكن عملها هذا ينسب الى الولايات المتحدة كلها ويُحسَب عليها

ولقد حاول الرئيس ولسن والوزير بريان ان يبررا عملها في اتباعها هذه السياسة سياسة الجبن وترك الواجب من حيث الاحتفاظ بالسلم المبني على الحق والعدل بادلَّة سفسطية لا يقبلها احد من الذين يؤيدون السلم الحقيقي بالاخلاص ولو كلفهم معها كلفهم لاسيما وان

السلم الحقيقي لا يؤيَّد الاَّ بالهمة والبسالة . ولذلك فالذين يعدُّون انفسهم من رسُل السلام وينادون به اذا كان نداؤهم لا يكلفهم شيئًا قد صاروا الآن مضغة في الافواه بسكوتهم او بمدحهم المستر ولسن والمستر بريان لانهما تخلَّيا عن المطالبة بحقوق السلم وايَّدهم في ذلك كل الذين يقولون انهُ لا يعنينا الاَّ امر انفسنا وانهُ لا يحق لنا ان نتحمَّل اقل تعب في القيام بما يجب علينا لغيرنا . وهذه الاثرة قد تجوز ولكن اذا قصدت امَّة من الامم ان تجري هذا المجرى فعليها ان لا ترتبط بعهد لاحد

والقول بان اتفاق الهاي لا يوجب علينا العمل منقوض لدى كل من ينظر الى المسألة بعين خالية من الغرض . فان ذلك الاتفاق اما انهُ يفيد شيئًا أو لا يفيد فاذا لم يترتب على الدول التي وقَّعتهُ ان تعترض على من يخالفهُ فلا فائدة منهُ ولا معنى لهُ ويكون وضعهُ وتوقيعهُ من اسخف ضروب الحماقة . ولكن اذا كانت لهُ فائدة وكان لهُ معنًى فعلى الولايات المتحدة وهي اقوى البلدان الواقفة على الحياد او اغناها ان تعمل لتأييد هذا الاتفاق ولاسيما اذا نتج عن نقضهِ فظائع مثل فظائع البلجيك . وهذان الوجهان لا ثالث لهما

لوم الولايات المتحدة

لا يفلح اتفاق لحفظ السلم في الدنيا الاَّ اذا جرى موقعوهُ على ضد ما جرى عليهِ الرئيس ولسن والوزير بريان في اتفاق الهاي لان الاتفاق لا يفيد الاَّ اذا تعهد المتفقون على العمل بموجب اتفاقهم وعلى اجبار غيرهم على العمل بهِ ولوم يوقعهُ معهم . وبعبارة اخرى انهُ اذا اتفقت الدول على حفظ السلم في الدنيا فاتفاقها يكون مثل اتفاق الهاي ولكن يجب على الدول التي اشتركت فيهِ ووقعتهُ كما فعلت الولايات المتحدة ان تنوي حينما توقعهُ العمل بهِ واجبار غيرها ايضًا على العمل بهِ ولو بالقوة اذا اقتضت الحال ذلك

ان انتهاك حرمة الاتفاقات الدولية ومعاهدات الحياد كما فعلت المانيا في البلجيك قبيح لذاتهِ وكبير الضرر جدًّا ولكنهُ لا يستحق من الذم والتشنيع مقدار ما يستحقهُ عمل الولايات المتحدة في وقوفها وقفة الجبان المكي لا تدافع عن اسمها ولا تؤيد العهود التي تعهدت بها ولا تحوعنها العار الذي لحقها من جراء ذلك ومن عدم تعرُّضها لمنع الحيف وهي قادرة على منعه

ويسوءني جدًّا ان اقف هذا الموقف واندد باعمال المانيا في بلجكا لان كثيرين من اصدقائي الالمان والاميركيين الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان قد استاؤوا من موقفي هذا اما اصدقائي الاميركيون الذين ولدوا في المانيا او اصلهم المان فاقول لهم انهم مضطرون

شرقاً ان ينظروا الى كل المسائل الدولية نظر من لا يهمهُ الاَّ مصلحة الولايات المتحدة ومجدها وشرفها بين دول الارض

واما اصدقائي من الالمان انفسهم فاقول لهم انَّ موقفي هو في مصلحة المانيا والشعب الالماني . ولو نظر الالمان كلهم الى الامر بعين خالية من الغرض لرأوا ان موقفي هو موقف من يقول انهُ يجب علينا ان ندافع عن المانيا اذا اعتدى عليها معتدٍ كما يجب علينا الآن ان ندافع عن البلجيك

في المانيا فريق من الناس يجري على مذهب ترتشكي وبرنهاردي من حيث مستقبل المانيا ومن حيث الواجبات الدولية عموماً . هذا الفريق معادٍ لاميركا كما هو معادٍ لغيرها من الدول . ويسمح لي مواطنيَّ الذين اصلهم المان ويودون ان لا تفعل اميركا للجكا حسب تقاليدها ومصالحها وما تحسبهُ فرضاً واجباً عليها بل تفعل حسب رغائب بعض الاميركيين الذين اصلهم الماني ان انبههم الى ما قالهُ ترتشكي وهو « ان العمران يخسر خسارة كبيرة بصيرورة بعض الالمان اميركيين وان اهالي المانيا لا شبهة عندهم ان عمران العالم يخسر كلما صار رجل الماني يتكيًّا (١) »

ولا اعتقد ان الالمان الذين يجارون ترتشكي في كره كل الذين ليسوا المانًا واحتقارهم وبرنهاردي في احتقارهم الحقوق الدولية هم الفريق الاكبر من الشعب الالماني ولا انهم فريق كبير منهُ واظن ان جمهور الالمان الذين يبررون عمل حكومتهم في بلجكا يعتقدون انَّ الضرورة قضت بذلك والاَّ دارت الدائرة على المانيا واستولت عليها فرنسا وروسيا . واذا خاف المرء ان تدور الدائرة على بلادهِ فتخرب حملهُ خوفهُ على اباحة كل محظور . فسبيل الذين على الحياد حينئذٍ ان يزيلوا هذا الخوف منهُ . وعندي انهُ لو كانت المانيا آمنة كل خطر في تخومها الشرقية والغربية لما رضي الشعب الالماني بما عملتهُ حكومتهُ في بلجكا

السلم الحالي من الحَيْف

والسبيل الفعَّال لنزع هذا الخوف من نفوس الالمان هو ان تتعهد الدول التي على الحياد مثل الولايات المتحدة بالدفاع عن استقلال المانيا وحفظ شرفها اذا اعتدى عليها معتدٍ كما تتعهَّد بالدفاع عن استقلال البلجيك او فرنسا او روسيا او انكلترا او اية دولة اخرى متمدنة اذا اعتدى عليها معتدٍ . ولا يتمُّ ذلك الاَّ اذا اتفقت الدول العظمى على اسلوب للسلم مثل الاسلوب الذي أشرت بهِ ومدارهُ على ان الدول العظمى تتعهد من تلقاء نفسها ان تنصر الحق

(١) لقب ضعة للاميركيين

بالقوة لكي يكون اعتراضها على انتهاك الحرم فعّالاً وتعاقب المسيء اذا اقتضت الحال ذلك . هذا هو السلم المؤيد بالحق واما السلم الذي ينادي به بعض المتحمسين وليس من يؤيده فكلام فارغ . وفي الولايات المتحدة كثيرون من الذين ينادون بهذا السلم ومن الذين يؤيدونهم عن حسن نية ولكن عن قلة معرفة وفيها ايضاً كثيرون من الذين يرون هذه الفرصة فيستخدمونها في مصلحة المانيا و يطلبون من الولايات المتحدة ان تبادر الى طلب الصلح او الهدنة على شرط ان تبقى بلجكا ملكاً لالمانيا ولا تعوّض شيئاً مما حلّ بها من الرزايا . يحاولون عقد صلح يتضمن بزور مستقبل رهيب وشر مقعد مقيم بتركهم الامور على ما هي عليه من غير ان يشيروا بشيء يمنع تكرار الشرور التي منيت بها البلجيك . هؤلاء كلهم سواء كانوا من المنادين بالسلم او اصحاب المتاجر الواسعة واكثرهم من الذين ولدوا في غير اميركا او ضعاف العقول او الجبناء الذين يحجمون عما يطلب منهم كلهم في الدرك الاسفل من المهانة

وكل الذين ينادون بالسلم وهم من هذا القبيل يشبهون اناساً رأوا السلب والنهب فاشيين في شوارع نيويورك فاجتمعوا وطلبوا ان يكف رجال البوليس عن العمل مقابل كف اللصوص وقطاع الطرق عن السلب والنهب على شرط ان يبقى لهم ما سلبوه وما نهبوه . فان اخا المروءة ونصير السلم هو الرجل الذي اذا رأى ذلك في مدينة كبيرة قوّى رجال البوليس فيها و بذل جهده في منع السلب والنهب واصرّ على عقاب المجرمين . ويحسن بالمتحمسين في طلب السلم الذين يقولون انهُ لا يجوز استعمال القوة في المشاكل الدولية ان يتذكروا ان رجال الشرطة الاكفاء هم الذين لا يلجأون الى استعمال القوة ما دام ذلك في الامكان ولكن اذا دعت الضرورة الى استعمال القوة حيث لا يفهم الاشرار دليلاً غيرها فلا يحجمون عن استعمالها . وما يصدق على الناس في معاملاتهم الاجتماعية الخصوصية يصدق على الممالك في المعاملات الدولية

اسلوب للسلم يمكن العمل به

لا يجسر احد ان يقول ما في الحدود اللازمة لانشاء رابطة عامة لاجل السلم الخالي من الحيف اي الذي لا يضام احدٌ به . واني اعرض الاسلوب التالي لكي لا ادع الامر مبهماً وعندي ان هذا الاسلوب يمكن العمل به ان وافقت عليه الدول كلها عن حسن نية وقامت بما تعهدت به كما قامت الولايات المتحدة بما تعهدت به لكوبا من حيث حفظ استقلالها والجزائر فيليبين من حيث اعطاؤها حكومة عادلة منتظمة و باقامها ترعة بناما . وكما قامت الكلترا بعهدها لما خُرق حياد البلجيك

وكل الدول المتمدنة التي تقدر وتريد ان تستعمل قوتها الحربية لنصرة العدل اذا دعت الحال الى ذلك يحق لها ان تنضم الى غيرها لتأليف محكمة دولية وتسن قوانينها ولا يعطى هذا الحق الاَّ للدول المتمدنة المتصفة بالشهامة وعزة النفس والرغبة في الاستبسال لنصرة الحق

وينبغي ان تسلم هذه القوانين ببقاء الحالة الحاضرة كما هي لانهُ اذا اريد ازالة المظالم القديمة اضطررنا ان نرجع الى الوراء قروناً عديدة . ويجب على هذه الدول ان تقرر ان بلاد كل دولة منها هي لها ولا يجوز الاعتداء عليها بوجه من الوجوه وان كل دولة حرة ان تسن لنفسها القوانين المتعلقة بشرفها ومصالحها الحيوية كالشروط التي تقبل بها المهاجرين الى بلادها الاقامة فيها او للتاجرة او لغير ذلك من الاعمال . وتضمن حقوق كل دولة من هذا القبيل فلا تكون هذه الحقوق عرضة للتحكيم كما ان حياة الانسان وحفظ اعضاء جسمهِ ليسا عرضة لقوانين التحكيم

واما سائر الاختلافات التي تقع بين الدول فيفصل فيها في محكمة التحكيم الدولية ولا يكون القضاة نواباً عن الدول بل قضاة يحصر المعنى ويحسن ان يختاروا لكل مسألة بالقرعة من مجموع القضاة بعدما يخرج منهم نواب الدولتين اللتين يراد الفصل في ما بينهما من الخلاف . ويجب ان تتعهد الدول كلها باستعمال قوتها اذا دعت الحال لمقاومة كل دولة تأبى الطاعة لحكم هذه المحكمة او تعتدي على حق تقرر صريحاً حفظهُ لكل الدول

بشروط مثل هذه توقى البلجيك من اعتداء الالمان عليها وتطمئن المانيا من اغارة فرنسا او روسيا عليها

منافع هذا الاسلوب

ولا يقتصر نفع هذا الاسلوب على الدول المتعاقدة اي التي تنتظم في دائرتهِ بل يشمل دولاً اخرى من الدول المتمدنة التي لا تريد ان تتعهد بتنفيذ احكام المحكمة بالقوة . ولا يكون لهذه الدول ان تشترك في اختيار القضاة لانهُ لا يجوز ان يشترك في ذلك الاَّ الدول التي تستطيع وتريد ان تنفذ حكم هؤلاء القضاة ولكن هذه الدول تعامَل بالعدل والانصاف واذا وقع خلاف بين واحدة منها واحدى الدول المتعاقدة حق لها ان ترفع ظلامتها الى محكمة التحكيم وتنتظر منها الحكم بالعدل وينفذ الحكم كما لو كانت من الدول المتعاقدة

ولا يقبل في الصف الاول اي صف الدول المتعاقدة الاَّ الدول المتمدنة الحسنة التصرف القادرة على القيام بما تتعهد بهِ . فلا تقبل فيهِ الصين ولا تركيا ولكن تقبل فيهِ المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة واليابان وبرازيل والارجنتين

وشيلي واورغواي وسويسرا وهولندا واسوج ونروج والدنمارك وبلجكا . واذا ظلت الصين سائرة في الخطة التي سارت فيها في السنوات الاخيرة قُبلت في الصف الثاني اي تعطى حقوق الدول المتعاقدة ولو لم تكن منهن . واما المكسيك فلا تقبل الآن لا في الصف الاول ولا في الثاني . ويحق للدول اوربا كلهن ان ينتظمن الآن في الصف الاول ما عدا تركيا

اما سائر البلدان والممالك الصغيرة التي لا يحق لها الانتظام في الصف الاول ولا في الثاني كبعض البلدان المستقلة في اميركا الجنوبية واواسط افريقية فيحسن ان تقر الدول المتحدة على طريقة تعاملها بها وتتركها الآن كما هي الى ان تقرَّ على هذه الطريقة

ولا يخفى ان اسلوبي تحول مصاعب كثيرة دون العمل به وما من احد يستطيع ان يكفل نجاحهُ التام ولكنني اعتقد ان العمل به ممكن ومتى عُمل به صارت احوال الناس احسن مما هي الآن . فان جهنم قد فتحت فاها في بلجكا والمكسيك وجانبٌ كبير من اللوم في ذلك واقع على هامة طلاَّب السلم في اميركا نعم انهُ لم يكن لهم يدٌ في اثارة هذه الحرب اذ ليس لهم جرأة ليفعلوا شيئًا ما ناقمًا كان او ضارًّا مما يقتضي حسارة وعزيمة صادقة ولكنهم لا يبرأون من المسؤولية لان الراضي بالشر كفاعلهِ

انتهى ما ترجمناهُ من مقالة روزفلت وقد استطرد الى لوم الرئيس ولسن لانهُ قال في الرسالة التي بعث بها الى مجلس النواب الاميركي ما مفادهُ ان البلاد في حرز حريز ولا داعي لانفاق النفقات على بناء البوارج الحربية . ثم قال (اي روزفلت) انهُ لو قالت انكلترا هذا القول منذ عشر سنوات لكانت بلادها الآن بركة من الدماء فعلينا ان نصلح بحريتنا ونقويها حالاً جارين على ضد السياسة التي جرى عليها الرئيس ولسن حتى الآن . ولا يمكن ان نصلح امورنا الحربية والخارجية ما دام في وزارة الحربية ووزارة الخارجية رجلان مثل دانيالس وبريان . ولم يكن الرئيس ولسن ليجسر ان يقيل احدهما او وزارة المالية لانهُ لو فعل ذلك لظهر الضرر المادي حالاً ولرأى اشد المقاومة من رجال المال في البلاد

والظاهر ان اعتداء الالمان على الرعايا الاميركيين جاء مؤيداً لآراء روزفلت فاضطر المستر بريان الى الاستعفاء من وزارة الخارجية وحمل الحكومة الاميركية على زيادة النفقات الحربية والبحرية زيادة فاحشة حتى تستعد لكل الطوارىء . واذا انتخب المستر روزفلت للرئاسة في الانتخاب التالي كما يرجح فلا يبعد ان يحمل الدول كلها على العمل بالاسلوب الذي اشار بهِ في هذه المقالة فيفيد النوع الانساني اكثر مما افادهُ احد قبلهُ

في سالف الدهر . ولولا امثال ذلك الخلل ما كانت الارض عرضة للادوار الجليدية التي تنتابها من حين الى آخر فتقرض جانباً كبيراً مما فيها من حيوان ونبات ثم يفارقها ذلك الدور فتعود منجماً طيباً للاحياء

كان الرأي فيما مضى ان الحيوان دون النبات مختص بالشعور والاحساس لان له جهازاً عصبياً ليس للنبات . فلذلك يجب ان يكون تنازع البقاء مقصوراً عليه . ولكن العلماء باتوا الآن اكثر تردداً مما كانوا في الجزم بهذه المسئلة . يقولون وما ادرانا ان لا يكون للنبات شعور كالحيوان . والاَّ فما هذا الذي نراهُ منهُ مما لا يعلل ولا يفسَّر الاَّ بكونهِ حيًّا شاعراً . نراهُ يلجأ الى وسائل للدفاع عن نفسهِ وحفظ كيانهِ ليست الاَّ للحيوانات ذوات الاعصاب . ولم يقتصر في حرب البقاء هذه على الدفاع بل قد يتجاوزهُ الى الهجوم . حتى لقد انشأت احدى الصحف العلمية الشهيرة بالامس مقالة جعلت عنوانها « هل النبات قاسٍ لا يرحم » وذكرت امثلة على تعذيبهِ للهوام وغيرها من انواع الحيوان . وقبل ذكر هذه الامثلة نذكر امثلة اخرى على ما يفعلهُ النبات في سبيل حماية بزورهِ واثمارهِ

خذ الخوخ والمشمش والكرز والتفاح وغيرها من الاثمار ترها قبل نضجها اي قبل قضاء عمرها المكتوب لها حامضة الطعم جدًّا وهذه الحموضة تقيها شرَّ اعتداء معتدٍ عليها قبل اوانها . ثم ان البزرة في بعضها مدفونة في قشرة صلبة دون الوصول اليها جهد وتعب . وبعد ذلك الجهد وذلك التعب كثيراً ما تكون البزرة مرة لا تؤكل كبزر الخوخ او حاوية لمادة سامة كبزر المشمش المر . واللباب اما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة كاللوز والبندق والفستق واما ان يكون محميًّا بقشرة صلبة فوقها طبقة مرة عفصة الطعم كالجوز

ومن النبات ما يحمي بزورهُ بحركات غريبة يأتيها . وواقع الامر ان النباتات اكثر حركة مما يظن عادة بل هي في حركة دائمة . ولكن انتقالها من مكانها بطيءٌ على الغالب الى حدٍّ ان لا يلتفت اليها ولا ينتبه لها اما بعض اصناف النبات فليست كذلك . فان النبات المعروف بالسنط الحساس تنقض اوراقهُ او تتدلى اذا مسَّ . ومنهُ فصيلة ترى اوراقها في صعود ونزول طول النهار واخرى اوراقها في دوران دائم . ومن النبات ما تنام اوراقهُ كاكثر انواع السنط . فاذا اقبل الليل غيرت اماكنها وانطوت من نفسها فيقلُّ بذلك سطحها المعرَّض للاشعاع وبالتالي خروج الحرارة منها فتوقى من البرد . ولقد اثبت دارون بالامتحان ان الاوراق التي لا تتحرك تذاق عذاب البرد اكثر من الاوراق المتحركة . والازهار تنام كذلك . فالازهار التي يتوقف تلقيحها على الحشرات والهوام النهارية كالنحل تنام ليلاً وتستيقظ نهاراً . والتي

النية على تربيته تربية فرنسوية ولكنهُ لم يكد يتعلم الفرنسوية حتى ذهب الى انكلترا ودخل الجيش فكان فيهِ هزوءًا لرفاقهِ بسبب غرابة سلوكهِ ولهجتهِ الفرنسوية فسئم الخدمة العسكرية فباع بعض املاكهِ وكان ذا ثروة طائلة وسافر الى اميركا الجنوبية كما تقدم فبلغ ريوجنيرو سالمًا سنة ١٨٥٤ . وفي ابريل من تلك السنة ركب باخرة اسمها « بلاً » فغرقت بهِ وبسائر من كان فيها . وكان مؤمنًا على حياتهِ فاخذ اهلهُ المبلغ المؤمن بهِ عليهِ وفصلت المحكمة في امر تركتهِ في يوليو سنة ١٨٥٥ فورث اخوهُ الاصغر املاكهُ ولقبهُ وهو لقب سر سنة ١٨٦٢ ثم مات سنة ١٨٦٦ واسمهُ السر الفرد تشبورن

لم يبق احد الاَّ اعتقد بغرق روجر غير امهِ حتى بات منزلها في تشبورن بارك موئل كل بحري افّاق يزورها فيلقى منها صدرًا رحبًا لعلهُ يكون ابنها او يقص عليها اخبار رحلاتهِ لعلها تتسم منها نبأ عنهُ واكثرت من نشر الاعلانات في الصحف تصفهُ عسى ان يدلها احد عليهِ ويرشدها الى مكانهِ . وفي نوفمبر من سنة ١٨٦٥ اجابها من سدني في استراليا ان في قرية واجاراجا بقاطعة كوينسلند جزارًا شابًا تطابق اوصافهُ اوصاف ابنها واسمهُ هناك طوم كاسترو . والواقع انهُ لم يكن يشبههُ فان روجر كان نحيف البنية ذا شعر اسود ساجٍ في حين ان كاسترو الجزار كان ضخم البدن ذا شعر متموج اشهب . وكان اول كتاب ارسلهُ الى اللايدي تشبورن (التي ادعى انها امهُ) دليلاً على جهلهِ واميتهِ وقد اشار فيهِ الى امور شتى اعترفت بانها لا تذكرها واهمها علامة في جسمهِ ظهرت فيهِ منذ ولادتهِ وحادثة جرت لهُ في بريطون في صغرهِ . ولكنها كانت كمن بهِ مسٌّ من السحر لا يجول في صدرها الاَّ خاطر ابنها حتى غلب ذلك الخاطر شبهاتها في شخصية كاسترو فارسلت اليهِ نقودًا وطلبت منهُ ان يجيء الى انكلترا

اما هو فابى السفر ولكن كان قد التف بهِ نفر من الطفيليين كثير الادعياء يعدون انفسهم بكل خير ونعمة اذا ربحوا القضية فاقنعوهُ بالسفر وزادهُ اقتناعًا ان رجلاً من اصدقاء السر جيمس تشبورن ابي روجر مقيمًا في سدني كان يعتقد بصدق مدعاهُ لما بينهُ وبين ابي روجر من الشبه . وتعرَّف وهو في سدني بعبد اسود اسمهُ « بوجل » كان في خدمة اسرة تشبورن فسافر هذا معهُ الى انكلترا في صيف سنة ١٨٦٦ . فبلغا لندن يوم عيد الميلاد من تلك السنة فزار منزل اسرة تشبورن حيث تعرف برجلين نصراهُ في دعواهُ وهما ادورد هوبكنس محامي الاسرة وفرنسيس بايجنت وكان مطَّلعًا تمام الاطلاع على تاريخ الاسرة . ثم سافر الى باريس حيث زار اللادي تشبورن « امهُ » المزعومة وكانت زيارتهُ

اباها في غرفة فندق وفي يوم مظلم من ايام يناير فاعترفت انهُ ابنها . وهذا الاعتراف اثر تأثيراً عظيماً في الجمهور الانكليزي ولم يكونوا يعلمون غرابة اخلاق هذه المرأة واطوارها

ومما دلَّ على غرابتها انها لم تعبأ بجهل هذا الرجل للغة الفرنسوية بل تسامحت في ذلك وعينت لهُ الف جنيه في السنة واستقبلت قريبتهُ وهي فقيرة امّية وسلمت اليهِ يومية ابنها وكتبهُ التي كتبتها اليها من اميركا الجنوبية . فاخذها ودرسها وتعلم منها اموراً كثيرة ساعدتهُ في دعواهُ وساعدهُ ايضاً فيها نقيب الاسرة المذكور آنفاً وجندبان من الاورطة التي انتظم ابنها في سلكها قبل سفرهِ الى اميركا وكان المدعي قد اخذهما خادمين لهُ . وجرى مع هذا التيار جميع الفلاحين الذين كانوا يعملون في املاك روجر وكثير من العائلات المجاورة لتلك الاملاك ومن ضباط الاورطة المشار اليها . اما اعضاء اسرة تشبورن في انكلترا فاجمعوا على ان كاسترو محتال وعملوا بعد بحث كثير ان اسمهُ الحقيقي آرثر اورطن وهو ابن جزار في بلدة وابنغ ولد سنة ١٨٣٤ وسافر الى اميركا الجنوبية سنة ١٨٥٠ فتعرف في مدينة ملاّ في شيلي بعائلة رقت لحالهِ فاعتنت بهِ وسمتهُ باسمها كاسترو ثم سافر الى استراليا حيث عُرف بهذا الاسم مدة اقامتهِ فيها . واثبت اعضاء اسرة تشبورن ايضاً انهُ حالما وصل الى انكلترا من سدني توجه الى وابنغ وسأل عن الذين كانوا لا يزالون احياء من اهلهِ . وان روجر تشبورن لم يذهب الى مدينة ملاّ التي اقام اورطن زمناً فيها . ولما كتب اورطن الى اللادي تشبورن من استراليا خاطبها بلفظة « ماما » في حين ان روجر لم يخاطبها مرة الاَّ بلفظة « امي » . ومن البعيد ان يقول الابن لامهِ « ماما » في كبرهِ وقد كان يقول لها « يا امي » في صغرهِ . وكان يجهل في بادئ الامر اشياء كثيرة يندر ان ينساها احد مثل اسم امهِ ونمرة اورطتهِ واسم السفينة التي سافر عليها من انكلترا . وكان يجهل الفرنسوية تماماً مع ان روجر تربى في فرنسا ولكنهُ كان يعرف بعض الاسبانية على اثر اقامتهِ في اميركا الجنوبية . وكان روجر قد تعلم اللاتينية في انكلترا . اما اورطن فلم يعرف الفرق بين اللاتينية واليونانية القديمة

فهذه القرائن لم تبقِ مجالاً للريب في ان المدعي لم يكن روجر تشبورن . ثم ان هنالك قرائن اخرى كانت تطابق كونهُ اورطن . فقد قال انهُ اصاب بمرض عصبي اسمهُ الطوريا وروجر لم يكن كذلك . وذكر في وصيتهِ ومذكراتهِ اشخاصاً تعرفهم عائلتهُ ولا تعرفهم اسرة تشبورن . وزد على هذا انهُ كان يجهل املاكهُ وما يتعلق بها وقال ان الباخرة التي سافر عليها من انكلترا اسمها « جمي ملر » وبعد البحث والمراجعة ظهر انها الباخرة التي سافر اورطن

عليها وان روجر سافر على الباخرة « بلاّ » . ولما وصل انكلترا قصد توًّا بلدة وابتغ كما تقدم وسأل عن جزار كان يسكن هناك فيما مضى

هذه القرائن مضافًا اليها ان اللادي تشبورن ومحامي الاسرة لم يلبثا طويلاً حتى ماتا — ثبطت عزائم اورطن فتنحى « سحب » قضيته والعدول عن المطالبة بالميراث ولقب الشرف لولا مضايقة مدينيهِ اياهُ وتشديدهم عليهِ وكانوا قد اقرضوهُ اموالاً كثيرة على ذمة جلد الدب كما في الحكاية المشهورة . ثم جيءَ بهِ الى المحكمة ودامت محاكمتهُ ١٨٨ يومًا فكانت اقوالهُ وشهاداتهُ نسيجًا من الجهل والاحتيال والاصرار على التوفيق بين أقوالهِ المتناقضة مما لم يسمع بمثلهِ في محاكم القضاء . وحلف اكثر من مئة شاهد بانهُ روجر وكان معظمهم صادقين في اعتقادهم ولو كانوا مخدوعين . وحلف كثيرون ايضًا بانهُ ليس هو . وحلف آخرون بانهُ اورطن . ويقال ان كثيرين بقوا بعد المحاكمة وصدور الحكم يعتقدون بان المدعي كان روجر بعينهِ وحجتهم ان اللادي تشبورن ورفاقهُ المزعومين في اورطنهِ قالوا انهُ روجر فلا بدَّ ان يكون هو . وبقي الجمهور في ريب من امرهِ حتى خطب النائب العمومي خطبة طويلة ابان فيها حقيقة المسئلة وكشف النقاب عن المؤامرة التي دبرت لاثبات كون المدعي هو روجر صاحب الثروة الطائلة والالقاب السامية . فقبض عليهِ وحوكم على الحنث باليمين فاصر على القول انهُ روجر وابدى عناداً ادهش الجميع ولكن خطأ محاميهِ وشهادة عشيقة لهُ ورفض المحامي ان يحضر اخواتهِ للشهادة — هذا كلهُ اقنع المحلفين فاخذوا المداولة نصف ساعة وحكموا بان المدعي هو اورطن لا غيرُ . فحكم عليهِ للحنث مرتين بالاشغال الشاقة ١٤ سنة وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٧٤ فاقام في السجن ١٠ سنوات . وتوفي بعد خروجهِ منهُ باربع عشرة سنة اي سنة ١٨٩٨

وقد كان سبب ضجة الجمهور حول هذه القضية وعدم تفهمهم لها ظنهم انهُ لما كان كل شاهد تقريبًا يؤتى بهِ للشهادة ضد المدعي قد يكون مخطئًا لذلك يكون الشهود في مجموعهم مخطئين . فان المدعي لا يبعد ان يكون قد نسي الفرنسوية . ونسي اسم « امه » وغمرة اورطنهِ واسم السفينة التي سافر عليها وهكذا الى آخر هذه القرائن الصغرى . ولكن لا يحتمل ولا يتصور انهُ ينسى هذه الامور كلها لو كان هو روجر حقيقة . وعليهِ كثيرًا ما يكون للقرائن الضعيفة الصغيرة قوة البينة والحجة الدامغة عند جمعها وتمحيصها ومقابلتها بعضها ببعض

وقد بلغت نفقة المحاكمتين اي سماع القضية الاصلية وسماع القضية الفرعية التي تفرعت عنها ومحاكمتهُ على الحنث باليمين ٢٠٠ الف جنيه دفعت اسرة تشبورن ٩٠ الفًا منها .

وكان مؤيدو المدعي من اهل الطبقة العليا قد نبذوهُ وهجروهُ قبل المحاكمة الثانية ولكن الذين الفوا شركة مساهمة دفعوا فيها المال للانفاق على قضيتهِ واهل الطبقتين الوسطى والدنيا عامة اعتقدوا انهُ رجل مضطهد . وفي سنة ١٨٧٥ عرض على مجلس النواب اقتراح فحواهُ احالة هذه القضية الى لجنة ملكية لاعادة النظر فيها فرفض المجلس هذا الاقتراح بالاجماع فهاجت لندن وماجت وخيف حدوث فتنة واعدت الجنود لقمع الفتنة اذا حدثت . ولكن الحوادث سكنت من نفسها فلما خرج اورطن من سجنهِ سنة ١٨٨٤ لم يعبأ الناس بهِ ومات سنة ١٨٩٨ فقيراً منسيًّا

الفصاحة والبلاغة

قالوا في حدّ الفصاحة انها سلامة الكلام من عيوب منها الكراهة في السمع كالنقاخ في قول الشاعر

واحمق ممن يكرع الماء قال لي دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

والنقاخ هو الماء العذب الصافي . وفات الذين استشهدوا بهذا البيت ان الشاعر كان في معرض تفضيل الخمر على الماء فلا بدع اذا جاء بافصح اسماء الخمر وبافبح اسماء الماء . وعندي انهُ لو صحح لهُ الوزن لجاء بلفظة المدامة او بنت الحان او بنت الدوالي او بنت العنقود او غيرها من الالفاظ التي يكنى بها عن الخمر وهي خالية من تنافر الحروف . ولو وجد في اللغة اسماً للماء اثقل على الاذن من النقاخ لجاء بهِ مبالغة في هجاء الماء . فالاستشهاد بهذا البيت على الاخلال بالفصاحة في غير محلهِ . والذي اراهُ ان لفظة النقاخ هي اللفظة التي لا يصلح غيرها مكانها الاَّ اذا كان اوقر في الاذن منها . وكلما زاد وقراً وزادت الاذن نبوًّا عنهُ كان اوفى بالمراد . أيريد اهل الفصاحة من الشاعر ان يأتي بلفظة زلال او سلسبيل (بشرط ان لا يخل الوزن) او غيرهما من اسماء الماء الفصيحة ؟ لو جاء الشاعر بلفظة زلال مثلاً في المقابلة بين الخمر والماء لجاءت اللفظة مخلّة بالفصاحة والبلاغة في نظري . اذ لا يستبعد على كارع الماء اذ ذاك ان يظفر بحمل الشاعر على هجر الخمر لمجرد الاتيان باسم فصيح من اسماء الماء .

كذلك قالوا ان الفصاحة سلامة الكلام من التنافر واوردوا شاهداً هذا البيت :

وقبر حرب بمكان قفرٌ وليس قرب قبر حرب قبرُ

صحيح ان الكلمات متنافرة فهي ليست فصيحة كما ان لفظة نقاخ ليست فصيحة اذا اريد